



محاضرات مقياس:
علم الاجتماع السياسي

أستاذ المادة: د. عبد الرحمان فريجة
Abderrahmane.fridja@univ-oeb.dz

المحاضرة الرابعة: أهم الاتجاهات النظرية التقليدية-الكلاسيكية — النظرية السياسية الاخلاقية، نظرية السيادة المطلقة، نظرية العقد الاجتماعي —

الفئة المستهدفة: طلبة السنة الأولى ليسانس علوم سياسية
تخصص جذع مشترك السداسي الثاني
للسنة الجامعية (2024/2023)

أغلب الدراسات وكتابات المؤرخين في هذا المجال التي تحاول تحليل الارتباط بين النظرية والاتجاهات والمذاهب الفكرية والايديولوجية والاخلاقية للوصول إلى علم يمكن من تحقيق الفهم والضبط والتحكم والتفسير والتنبؤ بالظواهر التي يهتم هذا المجال بدراستها، تتفق على أن علم الاجتماع السياسي نشأ في أحضان النظريات السوسيولوجية الكبرى في أوروبا؛ بالإضافة إلى دراسات النظريات السياسية التي ارتبطت أكثر برواد الفكر السياسي والتي أخذت اهتمام المتخصصين في علم الاجتماع السياسي، وذلك راجع إلى كونها جزء من النظرية السوسيولوجية العامة التي يقوم عليها علم الاجتماع عامة، ومرد ذلك أيضا إلى طبيعة تعقد الظاهرة السياسية باعتبارها أحد أنواع الظواهر الاجتماعية.

باختصار، سنتناول في هذه المحاضرة أهم الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع السياسي بالتركيز على مراحل تطوره التاريخي وتشكله كمجال معرفي عبر الحقب المتعاقبة. ومن استخلاصنا لأهم الإسهامات التي توالى عبر الفترات الزمنية هذه، سنلاحظ أنها أوجدت تقسيما مرتبطا:

➤ بمجموعة من المفكرين الأوائل (التقليديين) الذين نقلوا هذا الفكر الذي اصطبغ بالصبغة الفلسفية إلى تأسيس حقل علمي منظم لدراسة الواقع السياسي والاجتماعي للمجتمعات المختلفة؛

➤ وآخرين (حداثيين) ساهموا في نشأة ما يسمى بـ "علم الاجتماع السياسي الحديث" من خلال طرح اتجاهات نظرية أكثر تركيزا وتخصصا في أكثر مواضيع وقضايا الحقل الفرعي أهمية في المحاولات والكتابات العلمية التي عملت على تقسيم ذلك التراث النظري إلى الاتجاهات النظرية الكلاسيكية والحديثة، المعاصرة.

1- الاتجاهات النظرية التقليدية والكلاسيكية في علم الاجتماع السياسي:

يعتقد مولود زايد الطيب أن تحليلنا لأهم الاتجاهات النظرية لدراسة الارتباط بين الظواهر السياسية والاجتماعية، يوجهنا في البداية لتسليط الضوء على الاتجاهات التقليدية في علم الاجتماع، والتي نشأت من إسهامات الفلاسفة والمفكرين في الحضارات القديمة؛ مؤكداً في نفس الوقت، على القيمة العلمية لإسهامات هؤلاء المفكرين السياسيين اليونانيين القدماء، أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو، وكيف مهدت لتغيير أنماط الفكر السياسي الاجتماعي خلال العصور الحديثة والمعاصرة، وساهمت في نشأة مجموعة من النظريات والاتجاهات التي اعتبرت جزءاً أساسياً في تطور علم الاجتماع عامة، والعلوم السياسية وعلم الاجتماع السياسي خاصة. ومن أهم هذه الاتجاهات النظرية الكلاسيكية نذكر:

أولاً- النظرية السياسية الأخلاقية:

نشأت النظرية السياسية الأخلاقية من تحليل التراث السياسي القديم، وركزت على الربط بين السياسة والأخلاق والدين، ويرى أصحاب هذه النظرية ضرورة الربط بين السياسة والأخلاق، انطلاقاً من ربطهم للموجهات السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية، ويطلق على الاتجاه النظري الأول التقليدي اسم "أصحاب النظرية السياسية الأخلاقية" تأكيداً على هذا الربط. ومن أهم مفكري هذا الاتجاه نذكر:

1) أفلاطون:

- وهو مؤسس هذه النظرية التي حاول من خلالها:
- ✓ تحليل طبيعة "نظام الدولة" (الدولة المدينة):
- ✓ تقديم تحليلات عن "الطبقات" الاجتماعية والسياسية؛
- ✓ تحدث عن توزيع "السلطة" في المدينة الفاضلة؛
- ✓ أشار إلى "الفئات" الاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛
- ✓ حدد وظائف "السلطات":
- ✓ تحدث عن "البنى" الجزئية للبناء الكلي.
- ✓ طرح نموذجاً تصنيفياً لأفضل أنواع "الحكومات" (النظام المثالي الديمقراطي، النظام الأوليغاري أو حكومة الأقلية أو "الصفوة" الغنية، والنظام البيلو توتوقراطي كمرحلة أخيرة "للفساد" أو مرحلة حديثة من الحكومة الأوليغاريكية):

2) أرسطو:

- أما أرسطو الذي مثل الاتجاه التقليدي لعلم الاجتماع السياسي، فقد ركز على دراسة:
- ✓ الحكم وطبيعة نظام الدولة وشروط قيامها؛
- ✓ تناول بعمق مفهوم الطبقات الاجتماعية؛

- ✓ أشار إلى وجود نوع من تقسيم العمل الاجتماعي والسياسي بين الفئات الاجتماعية؛
- ✓ مزج في تحليلاته بين القضايا السياسية: أنواع نظم الحكم، الفئات الاجتماعية، الطبقات؛
- ✓ ركز على معالجة القضايا/المشكلات السياسية التي يهتم بها علماء الاجتماع السياسي في الوقت الحالي، كمبدأ الفصل بين السلطات، الحركات الاجتماعية والثورات، التغيير الاجتماعي وحدوث الثورات.

(3) "بوليبوس" (201-120 ق.م): الذي حدد نظريته حول:

- ✓ كيفية إدارة نظام الدولة
- ✓ وكيفية توزيع القوة السياسية بين الفئات الاجتماعية.

(4) "شيشرون" (106-43 ق.م): الذي تأثر بتوجهات بوليبوس وأفلاطون وأرسطو، حدد:

- ✓ نظريته وتصوره للسياسة كنظرية أخلاقية (الجانب المثالي)
- ✓ قام بدراسة السلطة السياسية؛
- ✓ أكد على أهمية نظام الحكم السياسي المختلط.

(5) أوغسطين:

- تطور هذا الاتجاه النظري التقليدي أيضاً مع مساهمات الفكر المسيحي في كتابات أوغسطين الذي أكد على ضرورة ربط السياسة بالأخلاق؛ وحاول أن يوضح:
- ✓ فكرة القانون الطبيعي (الكنيسة)؛
 - ✓ تحدث عن القانون الوضعي (من قبل الإنسان واجتهاداته)؛
 - ✓ ناقش فكرة القانون الطبيعي والوضعي وعلاقتها بنظام الحكم السياسي المدني؛
 - ✓ قدم حججا حول الكثير من النظم السياسية الوظيفية وقيام السلطة العلمانية، التي استمدت مبرراتها من خلال القانون الوضعي.

(6) توما الأكويني:

- ليأتي توما الأكويني كمفكر لا يقل أهمية عن السابقين في هذا الاتجاه النظري. وهو الذي حرص على:
- ✓ تقديم الأفكار التي تدعو إلى ضرورة أن يخضع الجميع لطبيعة السلطة القانونية
 - ✓ وهذا ما جعله يربط بين السلطة ونظام الحكم والنظام القانوني في إطار من التحليلات الأخلاقية؛

✓ ثم تحدث عن أنواع المقاومة الجماهيرية (الحركات الاجتماعية والتحريرية)، المساهمة في ظهور أنظمة حكم سياسية سيئة أو جيدة. (السلطة الزمنية والروحية عند الإكويني: أي البابا الذي يمثل السلطة الروحية والملوك والحكام يمثلون الزمنية)؛

✓ وقد تناول كتاب الإكويني (حكومة الامراء) توجهاته النظرية التي تجسد فكره الاجتماعي السياسي.

(7) عبد الرحمان ابن خلدون:

لا يمكن أن نهمل اسهامات الفكر السياسي الإسلامي في الاتجاهات النظرية لعلم الاجتماع السياسي، فمن خلال معالجات وتصورات مؤسس علم الاجتماع عبد الرحمان ابن خلدون نرى تركيزه:

✓ على الدراسات التحليلية والمنهجية المنظمة التي أصبحت أهم مرجع لعلم الاجتماع وعلم السياسة عامة وعلم الاجتماع السياسي خاصة؛

✓ تتأكد أهمية أفكاره في موضوعات قضايا الملك، الخلافة؛

✓ وسعت تحليلاته الدراسات المتعلقة بنشأة الدولة وتوسعها أو انهيارها؛

✓ فسر الدولة من منظور واقعي على أنها نظام اجتماعي وسياسي يخضع لعوامل التغيير والتطور وهذا ما جعله يحدد اطوار الدولة الخمسة (العصبية وأطوار الدولة)؛

✓ اعتبر الدولة أنها ظاهرة اجتماعية في إطار تحليلاته التي اتسمت بالطابع المقارن؛

✓ ربط كل ذلك بأهم موضوعات المجال حالياً مثل الفساد السياسي والرشوة.

ثانيا- نظرية السيادة المطلقة:

تطورت النظريات السياسية خلال عصر النهضة أو الإصلاح الديني وبروز التفكير العقلاني أكثر وضوحاً، فبروز اتجاه يضم مجموعة من رجال النهضة أو ما يسمى بالإنسانيين الذين بدأوا في تغيير النظريات السياسية من نظريات التفويض الإلهي أو الحكم المطلق لرجال الدين المسيحي إلى نظريات السيادة المطلقة للدولة الزمنية و الاهتمام بالفرد والإنسان بدلا من الآلهة. ومن أهم مفكري هذا الاتجاه نذكر:

(1) نيكولا ميكيافيللي:

أعمال نيقولا ميكيافيللي وأفكاره تركز على:

✓ مجموعة من المبررات السياسية التي تبرر الوسائل للوصول إلى الغايات والاهداف وتحققها بغض النظر عن نتائجها؛

- ✓ نظرتة الواقعية الموضوعية -أو ما يعرف بـ "النزعة السياسية الميكيافيلية"- إلى الظاهرة السياسية، تقوم على فصل السياسة عن الأخلاق والقيم؛
- ✓ ركز ميكيافيلي على عدد من الموضوعات المهمة حول القانون الديني والطبيعي، وأنواع الحكومات، والأمير أو الحاكم وأخلاقاته السياسية؛
- ✓ تحليله لمصطلح القومية وفقا لفلسفته السياسية ونزعتة الايديولوجية؛
- ✓ ساهمت هذه التصورات والأفكار فيما بعد في "إرساء أسس نظرية الصفوة السياسية".

(2) جون بودان:

- يعتبر جون بودان أيضا من مفكري هذا الاتجاه النظري، وقد جاءت نظرية السيادة المطلقة مرتبطة بأفكار "بودان"، حيث عبر في هذه النظرية عن خبرته السياسية والقانونية وهذا ما ظهر في مؤلفاته الشهيرة (مثل الجمهورية). وقد تضمنت:
- ✓ تصورا نظريا لكيفية ممارسة السياسة أو ما يطلق عليه اليوم بأنمط "السيطرة السياسية"؛
- ✓ تقديمه نظريات للتنظيم الإداري والاجتماعي للدولة و"توزيع السلطة والقوة" فيها.
- ✓ حرص "بودان" على أن تصطبغ تحليلاته السياسية بمفهوم السيادة (أي السلطة السياسية)،
- ✓ تضمنت نظرية "بودان" للسيادة بناءه نموذج لنمط سياسي يجمع بين النظم السياسية الجمهورية والشعبية وأهم الإصلاحات السياسية والاجتماعية، التي يجب أن يتمتع بها أي سلطة سياسية لقيام دولة ذات سيادة؛
- ✓ تحليلاته هذه كانت قائمة من أجل قيام دولة، فهو يتصور نظرية سياسي لقيام دولة ذات سيادة،
- ✓ تحدث عن امكانية انتقال هذا النمط من الدولة إلى أقلية سياسية تحكم البقية (الصفوة)؛
- ✓ عموما، فإن أفكار بودان حول نظرية السلطة السيادية المطلقة تجسدت في تصوراته لأهمية وجود سلطة سيادة تستمد قوتها من الشعب.

ثالثا- نظرية العقد الاجتماعي:

تضمنت نظرية العقد الاجتماعي أفكار ومساهمات اعتبرت فاصلا بين الاتجاهات النظرية التقليدية و الحديثة المعاصرة، فهذه النظرية التي برزت منذ عصر النهضة والتي يطلق عليها أيضا بنظريات العقد السياسي، حملت طروحات وأفكار حديثة تدرس أهمية تعزيز السلطة السياسية، وضمان وجود حدود شرعية متعاقد عليها بين الحكام والمحكومين، تمثلت

في الآراء التي جاء بها كل من هوبز ولوك وروسو، فيما عرفوا فيما بعد بمفكري نظريات العقد الاجتماعي.

1) توماس هوبز (1679-1888)

توماس هوبز، من خلال دعوته إلى فكرة التعاقد الاجتماعي كأساس للحكم السياسي، فهو يؤيد أفكار وتصورات "جون بودان" عن سيادة الدولة أو السلطة السياسية المطلقة، وهي الإطار الذي يعيش فيه الافراد أي؛ تصوره لفكرة انتقال الإنسان من الحالة الطبيعية المتوحشة إلى حالة الاجتماع أو المجتمع، الذي يتم عبر التعاقد الاجتماعي، وقد تناول هوبز عدم الحاجة إلى الجماعات الوسيطة (مثل لنقابات والكنيسة) التي يراها انها مفرخ للشقاكات ولا أهمية لها في ظل نظام السيادة المطلقة، وكل هذه الافكار تقريبا جاءت في مؤلفه الشهير التنين أو لفياتان (leviathan) الذي قدم من خلاله فكريا تصوريا حول بناء نظام اجتماعي ينقل الافراد من الحالة الطبيعية اللانظامية إلى المجتمع المدني والدولة الحديثة.

2) جون لوك (1662-1704):

أما فقد حرص على أن يطور أفكار "هوبز"، لكن من منظور مختلف، لذا فإن مساهمته الفكرية كانت تطويرا لنظرية العقد الاجتماعي نحو إنشاء دولة تحكمها اقلية من الأفراد، ويعتبر المتخصصين لوك من مؤسسي النظام الملكي (المقيد) أو ما يسمى في ادبيات علم الاجتماع السياسي الآن بالملكية الدستورية.

3) جان جاك روسو (1712-1778):

مثل هوبز ولوك، تركز بناءه الفكري أيضا على نظرية العقد الاجتماعي، فإذا كان هوبز قد جعل السلطة والسيادة تتمثل في النظام السياسي الملكي، ولوك قد ركز على أهمية وجود السيادة في السلطة الملكية المقيدة، فإن روسو حرص على أن تكون السلطة والسيادة للشعب وهي سلطة مطلقة.

يلخص الجدول المقابل، الفكر السياسي القديم الذي ساهم وأثر في تطور علم الاجتماع السياسي كعلم مستقل تنوع فيه الاتجاهات النظرية لتحليل تفاعل البنى الاجتماعية والسياسية.